

نماذج من كتابات حول العلامة الخوري ميخائيل الغزيري

(وفقًا للتسلسل الزمنيّ)

من غزير أصلاً وطرابلس مولدًا ومن تلامذة المدرسة المارونيّة في روما. سيمّ كاهنًا في ١٧٣٤، ورافق السمعانيّ في ١٧٣٦ إلى لبنان كلاهوتيّ في المجمع اللبنانيّ - عاد إلى روما في ١٧٣٨ حاملاً شكاوى بعض أبحار الموارنة على السمعاني، تلك الشكاوى التي لم يكتثر لها البابا بنوا ١٤، وردّ عليها بكتاب ثناء على السمعاني. انتقل الغزيري إلى مدريد في ١٧٤٨ وظلّ هناك حتى موته في ١٧٩١. في مدريد عيّنه الملك ملحقًا بالمكتبة الملكيّة، وعضوا في أكاديميّة التاريخ الملكيّة، وترجمان الملك، ومساعد محافظ مكتبة الإسكوريال ثم محافظ هذه المكتبة.

الأب بطرس ضوّ،

"ميخائيل الغزيريّ (١٧١٠ - ١٧٩١)" في تاريخ الموارنة الدينيّ والسياسيّ والحضاريّ - ٤ - الوجه العسكريّ الماروني من ١٣٦٧ إلى ١٨٤٠، الطبعة الأولى، جونيّه - لبنان، المطبعة البولسيّة، ١٩٧٧، ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

###

هو ميخائيل الغزيريّ تلميذ رومية، وقد حضر المجمع اللبنانيّ، ووُصِفَ بأنّه أستاذ الفلسفة واللاهوت. [...].

وقد أوّقد هذا العلامة مع الخوري الياس سعد البجّاني للاعتراض على بعض رسوم المجمع اللبنانيّ، والطعن بالعلامة الكبير السمعاني الأكبر، فعادا مخدولين. وهذا بعض ما جاء في رسالة البابا جوابًا على تلك الشكاوى:

"وقد أيّدناه (أي المجمع اللبنانيّ الذي انتزع السمعاني فيه أكثر حقوق البطريرك المارونيّ) كلّ التأييد [...].، وأثبتناه بسلطاننا الرسوليّ، ورأينا من الصواب والإنصاف أن نمحو كلّ وصمة التحقّت باسمكم، وأن نُنزِل التأييد بمؤلفيها. وأن نُعلن أنّها تستحقّ الحرق بالنار". [...].

مارون عبّود،

"الغزيريّ" في أدب العرب، مختصر تاريخ نشأته وتطوّره وسير مشاهير رجاله، وخطوط أولى من صُوَرِهِم، المجموعة الكاملة، في الدراسة، المجلّد الأوّل، الطبعة الثالثة، بيروت، دار مارون عبّود؛ دار الثقافة، ١٩٧٨-١٩٧٩، ص ٤١١-٤١٢.

###

إنّ قدوم ميخائيل الغزيريّ إلى إسبانيا سنة ١٧٤٨، قلب التقليد المتبع هناك رأسًا على عقب. لقد تركز نشاطه الثقافيّ في مدريد على اتجاهين: الأوّل، أكاديميّة التاريخ الملكيّة، والثانيّ، المكتبة الملكيّة. ونظرًا لتضلّعه من عدّة لغات فقد بدأ منذ وصوله في تكوين فريق من

المستشرقين الإسبان علّمهم اللغة العربيّة وقواعدها، كما عُهد إليه بضبط المخطوطات العربيّة في مكتبة الإسكوريال "Bibliotheca arabico-hispana escurialensis" 2 vols. 1761-1770. [...].

قام ميخائيل الغزيريّ بعمل مرموق خلال إقامته في إسبانيا. عدا كتاب " مكتبة الإسكوريال العربيّة- الإسبانيّة"، المطبوع في مجلدين، فلا تزال بقيّة كتاباته غير منشورة، ومجرّد مخطوطات منثورة وموزّعة على مختلف مكاتب مدريد. ويجدر بنا أن نأخذ بعين الاعتبار، وبشكل مميّز، شخصيّة الغزيريّ في حقول الترجمة و تأليف المعاجم والنقد؛ وكلّ ذلك بين الأعوام ١٧٤٨ و ١٧٩٢.

يُعتَبَرُ الغزيريّ وحده رائد الاسترشاق في شبه الجزيرة الأيبيريّة. وكلّ الذين جاؤوا بعده عملوا إمّا معاونين له وإمّا متممين لخطّه.

الخوري ناصر الجميل،

"أثر تلامذة المدرسة المارونيّة في أوروبا، القسم الثالث: في إسبانيا والبرتغال" في، مجلّة المنارة، السنة ٢٥، العددان الأوّل والثاني، ١٩٨٤، جونية، جمعية المرسلين اللبنانيين الموارنة، ص ٢٤٦.

###

[...] أُلْحِقَ بدير الإسكوريال (على مقدار ٤٠ كلم شمالي غربي مدريد)، ومكتبته تحتوي على مقدار وفير من المخطوطات العربيّة التي اقتُنِيَتْ بطرق مختلفة [...].

وقد عُهدَ إلى ميخائيل الغزيريّ بوصف هذه المخطوطات. فقام بهذه المهمة خير قام، وأصدر لها فهرسًا ممتازًا لا يزال الباحثون يرجعون إليه حتّى اليوم [...].

وفي هذا الفهرس يجد القارئ مادة غزيرة تتعلّق بتاريخ المسلمين في إسبانيا، وثبّتًا بالشعراء الأندلسيين العرب، وموجزًا لتاريخ حكم المسلمين لإسبانيا مع اقتباسات عن كتاب "الحلّة السّيراء" لابن الأَبَّار وتراجم علماء مستمدّة من "كتاب الإحاطة في تاريخ غرناطة" للسان الدين بن الخطيب في ترجمة لاتينيّة وتراجم مأخوذة من كتاب "التكملة" لابن الأَبَّار ومن "بغية المُلْتَمِس" للضبيّ [...]. كذلك تجد في هذا الفهرس تاريخ الخلفاء في الأندلس والأسر الحاكمة في المغرب بحسب كتاب "الحلّل المرقومة" وهو مؤلّف مجهول، مع إيراد نصوص عربيّة طويلة منه وتزويده بتعليقات وفيرة [...]. وكذلك أيضًا لمحّة عن تاريخ غرناطة استنادًا إلى "كتاب اللمحة البدرية في الدولة النصريّة" الذي ألّفه لسان الدين بن الخطيب [...].

وفي مقابل ذلك لم يهتمّ الغزيريّ، في هذا الفهرس، بالكتب المختصّة بعلم الكلام والفقه لأنّه وجد أنّها لا تهّم الباحثين في العلم المسيحيّ (ج ١ ص ١٦ من المقدّمة).

غير أنّها اهتمّت بكتب العلوم وعلوم الأوائل. ففصّل القول في بيان مضمون كتاب "الفلاحة" لابن العوام [...]. ونقل عن كتاب: "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين القفطي تراجم عدد كبير من الفلاسفة والأطبّاء والرياضيّين وعلماء الطبّعة، اليونانيّين والمسلمين.

وبالجمله فإنّ فهرس الغزيري لمخطوطات مكتبة الإسكوريال هو من أجلّ الأعمال العلميّة المفيدة خصوصاً وقد تناول ميداناً - هو تاريخ المسلمين في إسبانيا - لم يكن مطروحاً كثيراً من قبل. وقد قام هرتفج دارنبوغ بمحاولة لإتمام وتصحيح فهرس الغزيري. وصدر الجزء الأوّل تحت عنوان: "المخطوطات العربيّة في الإسكوريال" (باريس، ١٨٨٤)، *Les Manuscrits arabes de l'Escorial*

عبد الرحمن بدوي،

"ميخائيل الغزيري ١٧١٠ - ١٧٩١" في موسوعة المستشرقين، طبعة جديدة ومنقّحة وفريدة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٢، ص ٣٨٥ - ٣٨٦.

###

ولعلّ صاحب الذكرى يأتي في مقدّم من أنبتتهم أرضنا تمّن خلدوا أسماءهم في حقل الترجمة واللغات والآداب والفنّ والتاريخ، من أمثال السّمعاني، والصّهيوني، والحقلاقي، والدويهي، وغيرهم. ويبقى فضل الغزيريّ أنّه بعد نبيله شهادة الملفة في الفلسفة والآهوت من مدرسة روما المارونيّة، وبعد رجوعه لفترة قصيرة إلى لبنان، وحضوره انعقاد المجمع اللبناني، وبعد تدريسه الفلسفة والآهوت في جامعات روما لفترة عشر سنوات، قصد إسبانيا حيث استقرّ ما يقارب النصف قرن، وهو يدرّس اللّغات الشّرقية في إحدى أكبر جامعاتها: الإسكوريال. وتدرّج من وظيفة كاتب و مترجم إلى مدرّس وأستاذ، فألى عضو في الأكاديمية العلميّة الملكيّة، ثمّ أصبح حافظ المكتبة الملكيّة. واستحقّق، وهو المارونيّ الوحيد في بلد غريب، بمجده ونشاطه، وحدّة ذكائه، أسمى المراتب. وإنّ مؤلّفه: *Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis* الذي يشرح فيه ويقدم للقراء الأروبيين ألفاً وثمانماية وخمسين مخطوطاً عربيّاً، ما يزال حتّى اليوم مرجعاً أوّليّاً للمستشرقين، وهو يتصدّر أهمّ الكتابات في العالم.

مار نصرالله بطرس صفيّر، بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق،

من كلمته الافتتاحيّة في الذكرى المئويّة الثانية لوفاة العالم الماروني "جبرائيل الغزيريّ" في الذكرى المئويّة الثانية للعالم المارونيّ ميخائيل الغزيري (١٩٩٢ - ١٧٩٢) رائد الإستعراب في إسبانيا، الكسليك - لبنان، جامعة الروح القدس، ١٩٩٩، ص ٨.

###

وتبدأ مسيرة ميخائيل الغزيري العلميّة على درب... شاقّة، سيمشيها بجرأة وكفاية حتّى النهاية، بدعم من كبار المسؤولين في الدولة وفي الكنيسة الإسبانيّة.

وكانت مكتبة الإسكوريال تنتظر من يضبط مخطوطاتها العربيّة ويحقّقها؛ فعهدت إليه المهمة في عمل طويل ومضنّ كان من ثماره، كتاب "المكتبة العربيّة - الإسبانيّة الإسكورياليّة"، الذي صدر، بين السنوات ١٧٦٠ - ١٧٧٠، بجزئين ضخمين من القطع الكبير، وفيهما وصف شامل ١٨٥١١ مخطوطاً؛ وقد استقدم الملك خصيصاً لذلك مطبعة عربيّة من هولندا. وهو الكتاب الوحيد الذي نُشر له بالطبع.

أما رائعته الثانية، التي قد لا تقلّ أهميّة عن الأولى، فهي ترجمته من العربيّة إلى اللاتينيّة لـ "مجموعة القوانين المقدّسة للكنيسة الإسبانيّة" مع تعاليق وشروح قيّمة، وهي لا تزال مخطوطة تنتظر يومها، شأنها شأن سائر آثاره الأخرى.

وتوزّعت نشاطاته العلميّة على أكثر من مجال، ملتقمة كلّها على صعيد الاستشراق، أو ما سُمّي في إسبانيا بالاستغراب. فدرس الكتابات الجدرانّيّة على قصر الحمراء في غرناطة، والآثار والنقوش العربيّة في أشبيلية وغيرها من مدن الأندلس، والعملات القديمة، وأسماء عدد من المدن والقرى والأهوار والقلاع والأماكن ذات الأصل العربيّ، وقدم في ذلك نظريّات جريئة قد يكون مصيبيًا فيها أو مخطئًا. كما جمع ٨٠٧ ألفاظ عربيّة دخيلة على اللغة الإسبانيّة، وترك مسوّدّة قاموس عربيّ-إسبانيّ، وأخرى لقاموس عربيّ-تركيّ-فارسيّ. كما نسخ بعض المخطوطات العربيّة، وترجم البعض الآخر، بالإضافة إلى عدد من الترجمات التي قام بها في البلاط الملكيّ، ذات الطابع الرسميّ. كلّ هذه التركة العلميّة لا تزال محفوظة، بحظّ يده، إلى جانب مجموعة مراسلاته الشخصيّة في المكتبتين الوطنيّة والملكيّة.

الأب اغناطيوس سعادته،

"ميخائيل الغزيري: الدعوة العلميّة عبر مسيرة حياته" في الذكرى المئويّة الثانية للعالم المارونيّ ميخائيل الغزيريّ (١٧٩٢-١٩٩٢) راند الاستغراب في إسبانيا، الكسليك - لبنان، ١٩٩٩، ص ١٦-١٨.

###

كان الغزيريّ من الجيل الأوّل الذي عمل في المكتبة الملكيّة العامّة بعد نحو ثلاثين سنة من تأسيسها، فاشتغل مستشارًا ساعدته معرفته لغات عدّة لأنّ يقدم خدمةً جليّة للثقافة الإسبانيّة. فإلى إتقانه اللاتينيّة والاطالتيّة، ومعرفته الإسبانيّة فيما بعد، وعدّته العربيّة والسريانيّة الطبيعيّة، جعلت منه أحد واضعي الأساس لمدرسة الاستشراق في إسبانيا.

[...] نثرُك جانبًا عمل الغزيريّ الكبير، أيّ "المكتبة العربيّة - الإسبانيّة - الإسكورياليّة" لتتناول عملاً عظيمًا قام به في حقل الترجمة وهو "قوانين الكنيسة الإسبانيّة"، الذي يعتبره الأب بولس مسعد رائعّة الغزيريّ.

لقد عُثِرَ على الترجمة العربيّة لهذه القوانين، فنُقِلَ المخطوط إلى مدريد وأقرّ الملك كارلوس الثالث بأهميّته، فأمرَ بترجمته إلى اللاتينيّة أملاً في أن يُنشرَ في طبعة علميّة عربيّة - لاتينيّة.

صنع الغزيريّ أوّلًا نسخة في العربيّة بحظّه ثمّ الترجمة اللاتينيّة، ما افترض جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلاً، إذ إنّ المخطوط يقع في ثمانماية وأربع وعشرين صفحةً من القطع الكبير؛ والنسخة مكتوبة بحظّ واضح، وحروف كبيرة، وكتابة جميلة؛ وقد وُضِعَ الغزيريّ على هامش النسخة العربيّة التي صنعها ملاحظات عديدة، ما يُفيد أنّه كان يُعدُّ العِدَّة لترجمة النصّ وطبعه.

أما الترجمة اللاتينيّة فقد جاءت في جزأين كُتبا بعناية إعدادًا لطبعتها لاحقًا. وعلى الهامش هناك توضيحات للنصّ، وتعليقات عليه، ومقارنات، وتصويبات، بكتابة عربيّة، تتناول بنوع خاصّ أسماء المدن التي فيها كراسي أسقفية.

من المؤسف أن عمل الغزيريّ المهمّ لم يرَ النورَ بالطباعة [...] . لقد شقَّ الغزيريّ الطريقَ واسعاً، فتبع كثيرونَ خطاه من بعده لتعريف الثقافة الإسبانية العربية الطابع.

سانتو دومنغو، نوريا توريس Santo Domingo, Nuria Torres

"الغزيريّ: المترجم والمكتبي" في الذكرى المئوية الثانية للعالم المارونيّ ميخائيل الغزيريّ (١٧٩٢-١٩٩٢) رائد الاستعراب في إسبانيا، الكسليك - لبنان، ١٩٩٩، ص ٢٤، ٣٦-٣٧.

###

شهرة الغزيريّ اللغويّة ثبّتت مكانته رغم وجود آخرين من الشرق كانوا يعملون في نسخ الكتب العربيّة والترجمة، فإذا العلماء والمؤسّسات من إسبانيا، بل ومن فرنسا وألمانيا، يكتبون إليه يستشيرونه، ويسألونه مساعدةً في تفسير نصّ، أو شرح كتابة، أو ترجمتها. ويستحقّ التقدير تواضع الغزيريّ وأمانته العلميّة [...].

أمّا عمل الغزيريّ الأهمّ في حقل المعاجم فهو، ولا شك، "قاموس الكلمات العربيّة المستعملة في إسبانيا مردودة إلى أصلها ومعناها الحقيقيّ... بحسب ترتيب قاموس أكاديميّة اللغة، ومكتوبة بالحروف العربيّة لتوفير النطق الصحيح بها وتحاشي الخطأ في كتابتها". يتألّف هذا القاموس من ١٩٥ صفحة تضمّ ٨٥٧ كلمة، أضاف إليها في ملحق ٦ كلمات. والغزيريّ يبسط المعنى شارحاً ومستشهداً أحياناً بمؤلفين، واضعاً ملاحظاته، نادراً، باللغة اللاتينيّة.

والغزيريّ الهادئ الطبع عموماً ينتفض أحياناً بإباء رصين وتحدٍّ أمام نقد لا يستند برأيه إلى مُرتكز ثابت. هكذا يكتب في ٦ صفحات إلى إيباريتا D. Ybarreta بشأن حاشية عربيّة وردت على هامش الكتاب المقدس القوطيّ في قرطبة فيقول: "ولكم يسرّني لو أنّ هذه الحاشية المؤلّفة من أربع كلمات أرسلتْ إلى عدّة علماء مطّلعين في إسبانيا وفي أوروبا يزعمون معرفة اللغات أو يحسنوا قراءتها...". إلى هؤلاء أقول: فسّروا أربع كلمات واضحة الحروف واللغة، وليفصل بين تفسيرهم وتفسير حكيم عالم منصف".

أنطوان خاطر،

"الغزيريّ أستاذ العربيّة والمعجميّ" في الذكرى المئوية الثانية للعالم المارونيّ ميخائيل الغزيريّ (١٧٩٢-١٩٩٢) رائد الاستعراب، الكسليك، لبنان، ١٩٩٩، ص ٤١-٤٤.

###